تعريف علم اللغة

يعد مصطلح علم اللغة ترجمةً للمصطلح الإنجليزي Linguistics، على أن هناك ترجماتٍ أخرى للمصطلح تضعُنا أمام مترادفات مختلفة لهذا المصطلح؛ منها: علم اللغة العام، او علم اللسان، او اللسانيات، او فقه اللغة، او الألسنيات، او اللُّغويات.

ولعلم اللغة تعريفاتٌ متعددة، وسوف نقف هنا أمام تعرفين اثنين:

- التعريف الأول: هو تعريف دي سوسير، ومُفاده أن علم اللغة يعني: دراسة اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها.

فما (اللغة) التي يقصدها؟ وما معنى (في ذاتها)؟ وما معنى (من أجل ذاتها)؟

أولًا: اللغة: "التي يدرسها علم اللغة ليست الفَرنسية، أو الإنجليزية، أو العربية، ليست لُغةً معينة من اللغات؛ إنما هي (اللغة) التي تظهر وتتحقَّق في أشكال لغات كثيرة، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني، فمع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، وهذه الأخيرة تفترق عن الفَرنسية، إلا أن ثمة أصولًا وخصائصَ جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات، وتجمع ما بينها وما بين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلًّا منها (لغة)؛ أن كلًّا منها نظام اجتماعي معين تتكلَّمه جماعةٌ معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف خاصة، ويتلقَّاه الجيل الجديد عن الجيل القديم، وهكذا.

فعلم اللغة يَستَقِي مادَّته من النظر في (اللغات) على اختلافها، وهو يحاولُ أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعًا في عقد واحد، وكما يدرس عالِم الحيوان أفرادَ الحيوان على اختلافها؛ ليصلَ إلى فهمٍ سليم لحقيقة (الحيوان)، والدراسة تُلجئه إلى أن يصنف أفراد الحيوان على أُسُس معينة، وأن يبرز خصائص كل (صنف)، وأن يؤرخ للحياة الحيوانية، ويحاول أن يفسر (نشأتها) – كذلك يصنع عالم اللغة باللغات.

إذًا: اللغة التي يدرسها هي: اللغة الإنسانية على وجه العموم.

ثانيًا: معنى قوله: (في ذاتها)، هو "أنه يدرسها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يُغيِّر من طبيعتها، كما أنه ليس للباحث في موضوع أيِّ علم من العلوم أن يُغيِّر من طبيعته، فليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسنًا إياها، ويُنحِّي جوانب أخرى استهجانًا لها، أو استخفافًا بها، أو لغرض في نفسه، أو لأي سبب آخر من الأسباب.

ثالثًا: معنى أن علم اللغة يدرس اللغة (من أجل ذاتها): أنه "يدرسها لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسةً موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس مِن موضوع دراسته أن يحقق أغراضًا تربوية مثلًا، أو أية أغراض عملية أخرى، إنه لا يدرسها هادفًا إلى (ترقيتها)، أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل أُخَر، إن عمله مقصورٌ على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية.

- التعريف الثاني: أورده الدكتور محمود فهمي حجازي بقوله: "علم اللغة **Linguistics** في أيسر تعريفاته هو: دراسة اللغة على نحو علمي.

وهنا نسأل أيضًا: ما معنى (على نحوٍ علمي)؟

إن دراسة اللغة ليست دراسةً عشوائية؛ وإنما هي دراسة علمية تقوم على أسس ومبادئ وإجراءات؛ لتفضي في النهاية إلى نتائجَ سليمة، وقواعدَ محددة واضحة.

ومن هذه الإجراءات – على سبيل المثال – تحليل اللغة إلى مستوياتها المختلفة: الصوتية والصرفية، والنَّحْوية والدلالية، تحليلًا دقيقًا، يُعطِينا صورةً واضحة عن مكوِّنات هذه اللغة وخصائصها المختلفة.

فالتعريف الأول يجعل دراسة اللغة مقصورةً عليها (في ذاتها، ومن أجل ذاتها)، دون النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر فيها، فمن المعروف أن اللغة تتأثر بالمجتمع الذي

يعيش فيه المتكلمون بها، كما أنها تتأثر بالطبيعة الجغرافية للأماكن التي يعيش بها هؤلاء المتكلمون باللغة، كما تتأثر بنفسية المتكلمين وثقافاتهم.

في حين أن التعريف الثاني لم يستبعِد دراسة هذه العوامل في دراسة اللغة، فمِن الممكن أن أدرس المجتمع اللُّغوي، أو جغرافية مكان اللغة، أو نفسية المتكلم بها، في أثناء دراستي للغة.

ولعل التعريف الثاني هو الأدق؛ لأن اللغة في تطورها وتكويناتها ليست بمَعزِلٍ عن هذه العوامل؛ وإنما تشكَّلت وتحورت وتطورت عن طريقها.

خصائص الدراسة العلمية للغة

عرفنا أن اللسانيات أو اللغويات Linguistics هي العلم الذي يهتم بدراسة اللغات الإنسانية ودراسة خصائصها وتراكيبها ودرجات التشابه والتباين في ما بينها. أما اللغوي فهو الشخص الذي يقوم بهذه الدراسة.

علم اللغة هو الدراسة العلمية للغة. ويحاول هذا العلم الإجابة عن أسئلة حول اللغة مثل: كيف تتغير اللغات ولماذا يكون للمفردات معان معيَّنة؟ ويبحث علماء اللغة في اللغات التي يتكلّمونها وتلك التي لا يتكلّمونها على حد سواء.

وعندما يدرس علماء اللغة لغة حديثة فإنهم يحللون كلاماً واحداً أو أكثر من المتحدثين الأصليّين بتلك اللغة، ويطلقون على مثل هذا الشخص مُخْبرًا لغويًا (راوية).

إن كثيرًا من اللغات ليست لها أنظمة كتابية، ولذا يتجه علماء اللغة في الغالب إلى استخدام رموز تسمّى الألفباء الصوتية لتدوين الأصوات الكلامّية للمخبر اللغوي. كما يدرس علماء اللغة أيضا اللغات الميتة لتتبُّع نشوء اللغات الحديثة.

يقوم علماء اللغة بجمع المادة اللغوية وتكوين النظريات واختبارها، ومن ثم يتوصلون إلى حقائق حول اللغة. ويعتقد هؤلاء الاختصاصيُّون أنهم لا يعرفون سوى القليل جدًا حتى عن أكثر اللغات المألوفة لديهم، ويحدوهم الأمل في تدوين ودراسة اللغات غير المألوفة قبل انقراضها. وهناك مجالان رئيسيّان لعلم اللغة هما علم اللغة الوصفي وعلم اللغة المقارن.

منهج اللسانيات وصفي، تجريبي واستدلالي في الوقت نفسه، فهو ينطلق من الظاهرة اللغوية إلى استنباط المعايير التي تنظمها وتضبطها، ولا يقف من اللغة موقفاً قبلياً ينطلق من معيار سابق على الظاهرة اللغوية. ويقوم المنهج الوصفي على الوصف والمعاينة ثم الاختبار والتصنيف والتبويب والاستقراء والتحليل الإحصائي وصولاً إلى استنباط القوانين التي تنظم الظاهرة، لاجئاً إلى استعمال المُثُل والأنماط الرياضية في نظم هذه القوانين، ثم يقوم بتعليلها ليكوّن منها نظرية لسانية عامةً فعالة قابلة للتطور.

واللسانيات علم حديث أرسى أسسه في مطلع القرن العشرين سوسير عندما ألقى «محاضرات في اللسانيات العامة» فحدد بذلك إشكالية المسألة اللسانية، بعد أن اتخذ موقفاً نقدياً من تصورات من سبقه من اللغويين المتقدمين الذين انطلقت دراساتهم للغة من وظيفة رئيسة هي الحفاظ على النصوص المقدسة، أو من اللغويين المتأخرين، ولا سيما في القرن التاسع عشر، الذين نظروا إلى اللغة على أنها آلية تاريخية، من غير أن ينظروا إليها من حيث وظيفتها التواصلية داخل المجتمع الإنساني. وقد أدت «محاضرات» سوسير إلى تحولٍ جعلَ دراسة اللغة «بذاتها ولذاتها» الوظيفة الأهم في اللسانيات، إذ يتقدم الداخلي (ذات اللغة) على الخارجي (المجتمع والدين والثقافة والسياسة والاقتصاد والفلسفة).

وحدد سوسير وظائف اللسانيات على النحو الآتي:

١. توصيف اللغات والتأريخ لها.

٢. البحث عن القوى الموجودة في اللغات كافةً بطريقة شمولية، ثم استخلاص القوانين العامة التي يمكن أن تُرَدَّ إليها كلُّ ظواهر اللغات.

٣. دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

ويقسم علم اللسانيات انطلاقاً من علاقته بالظاهرة اللغوية على علم اللسانيات العام وعلم اللسانيات الخاص.

يدرس علم اللسانيات العامُّ اللسان البشري انطلاقاً من أنه ظاهرة عامة تنتج منها ظواهر خاصة هي اللغات القومية، فهو ينطلق من العام إلى الخاص، أما علم اللسانيات الخاص فينطلق من الظواهر الخاصة في اللسان البشري، أي من اللغات القومية ليدرس كلاً منها مبيناً ما تتصف به من خصائص ومميزات تكسبها خصوصيتها وتجعل منها كُلاً واحداً متميزاً قائماً بذاته.